قصص الأنبياء

محمد (صلى الله عليه وسلم) في المدينة

رسوم
عبدالمرضي عبيد

المركز العربي الحديث

محمد(صلى الله عليه وسلم) في المدينة

وَصَلَ الرَّسُولُ (صلى الله عليه وسلم) إِلَى يَثْرِبَ بَعْدَ خُرُوجِهِ مِنْ مَكَّةَ، فَوَجَدَ أَهْلَهَا فِي اسْتِقْبَالِه، وَمَا أَنْ دَخَلَهَا حَتَّى صَارَ اسْمُهَا «المَدِينَةُ المُنَوَّرَةُ».

دَخَلَ الرَّسُولُ (صلى الله عليه وسلم) المَدِينَةَ رَاكِبًا نَاقَتَهُ،

وَأَخَذَتِ النَّاقَةُ تَسِيرُ حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى مَكَانٍ فَسِيحٍ أَمَامَ دَارِ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ اسْمُهُ أَبُو أَيُّوبَ الأَنْصَارِي.

آخَى الرَّسُولُ (صلى الله عليه وسلم) بَيْنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ. وَالمُهَاجِرُونَ هُم مَنْ هَاجَرُوا مِنْ مَكَّةَ إِلَى المَدِينَةِ فِرَارًا بِدِينِهِم، وَالأَنْصَارُ هُم مَنِ اسْتَقبَلُوهُم وَنَصَرُوهُم، وَهُم قَبِيلَتَا الأَوْسِ وَالخَزْرَج.

وَمَا أَنِ اسْتَقَرَّ الرَّسُولُ (صلى الله عليه وسلم) فِي المَدِينَةِ حَتَّى بَدَأَ فِي بِنَاءِ المَسْجِدِ فِي المَكَانِ الَّذِي بَرَكَتْ فِيهِ النَّاقَةُ، وَاسْتَمَرَّ البِنَاءُ دُونَ تَوَقُّفَ حَتَّى اكْتَمَلَ.

كَانَ فِي المَدِينَةِ أَشْخَاصٌ يُظْهِرُونَ الإِيمَانَ وَيُخْفُونَ الكُفْرَ، وَهُم المُنَافِقُونَ.

وَكَانَ يُوجَدُ بِالمَدِينَةِ ثَلاثُ قَبَائِلَ مِنَ اليَهُودِ هُمْ: بَنُو قَيْنُقَاع، وَبَنُو النَّضِير، وَبَنُو قُرَيْظَة، وَبَدَأَ الإِسْلامُ يَبْنِي دَوْلَتَهُ عَلَى الحُبِّ

وَالتَّقْوَى وَالعَمَلِ الصَّالِحِ بَعْدَ أَنْ أَقَامَ مَعَ اليَهُودِ مُعَاهَدَةً فِيهَا أَنَّهُ إِذَا هَاجَمَ عَدُوٌّ المَدِينَةَ شَارَكُوا فِي القِتَالِ، وَلَهُم دِينُهُم دُونَ حَرْبٍ أَوْ إِيذَاء.

وَانْتَهَتِ السَّنَةُ الأُولَى، وَجَاءَتِ السَّنَةُ الثَّانِيَةُ بَعْدَ الهِجْرَةِ، وَفِي مُنْتَصَفِ شَهْرِ شَعْبَانَ مِنْهَا تَمَّ تَحْوِيلُ القِبْلَةِ مِنْ بَيْتِ المَقْدِسِ بِفَلَسْطِينَ إِلَى بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ بِمَكَّةَ المُكَرَّمَةِ، وَفِي شَهْرِ رَمَضَانَ وَقَعَتْ غَزْوَةُ بَدْرٍ الكُبْرَى. فَفِي يَوْمٍ خَرَجَتْ قَافِلَةٌ عَظِيمَةٌ لِقُرَيْشٍ بِقِيَادَةِ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ، فَخَرَجَ الرَّسُولُ (صلى الله عليه وسلم)

وَمَعَهُ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ يُرِيدُونَ أَخْذَهَا، تَأْدِيبًا لِقُرَيْشٍ لِمَا فَعَلَتْهُ بِالمُسْلِمِينَ فِي مَكَّةَ، وَتَعْوِيضًا لَهُم عَمَّا تَرَكُوهُ فِي مَكَّةَ مِنْ أَمْوَالٍ نَهَبَهَا المُشْرِكُونَ، فَعَلِمَ أَبُو سُفْيَانَ بِخُرُوجِ المُسْلِمِينَ لَهَا فَغَيَّرَ طَرِيقَه، وَأَرْسَلَ إِلَى قُرَيْشٍ يُعْلِمُهُمُ الخَبَرَ، فَخَافُوا عَلَى أَمْوَالِهِم، وَخَرَجَ كُلُّ رِجَالِهِم يُرِيدُونَ حَرْبَ المُسْلِمِينَ.

كَانَ عَدَدُ الكُفَّارِ أَلْفًا (١٠٠٠)، وَعَدَدُ المُسْلِمِينَ ثَلاثُمِائَةَ وَثَلاثَةَ عَشَرَ رَجُلاً (٣١٣)، وَسَارَ جَيْشُ المُسْلِمِينَ حَتَّى نَزَلَ بِالقُرْبِ مِنْ

بِئْرِ بَدْرٍ، وَاسْتَعَدَّ الفَرِيقَانِ لِلقِتَالِ.

انْقَضَّ المُسْلِمُونَ عَلَى المُشْرِكِينَ، وَاشْتَدَّ القِتَالُ، وَانْهَالَتْ سُيُوفُ المُسْلِمِينَ عَلَى رِقَابِ المُشْرِكِينَ، فَقُتِلَ مِنْهُم مَنْ قُتِلَ، وَهَرَبَ مِنْهُمْ مَنْ هَرَب، وَعَادَ المُسْلِمُونَ إِلَى المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ فَرِحِينَ بِنَصْرِ اللهِ.

اغْتَاظَ يَهُودُ بَنِي قَيْنُقَاعٍ مِنِ انْتِصَارِ المُسْلِمِينَ،

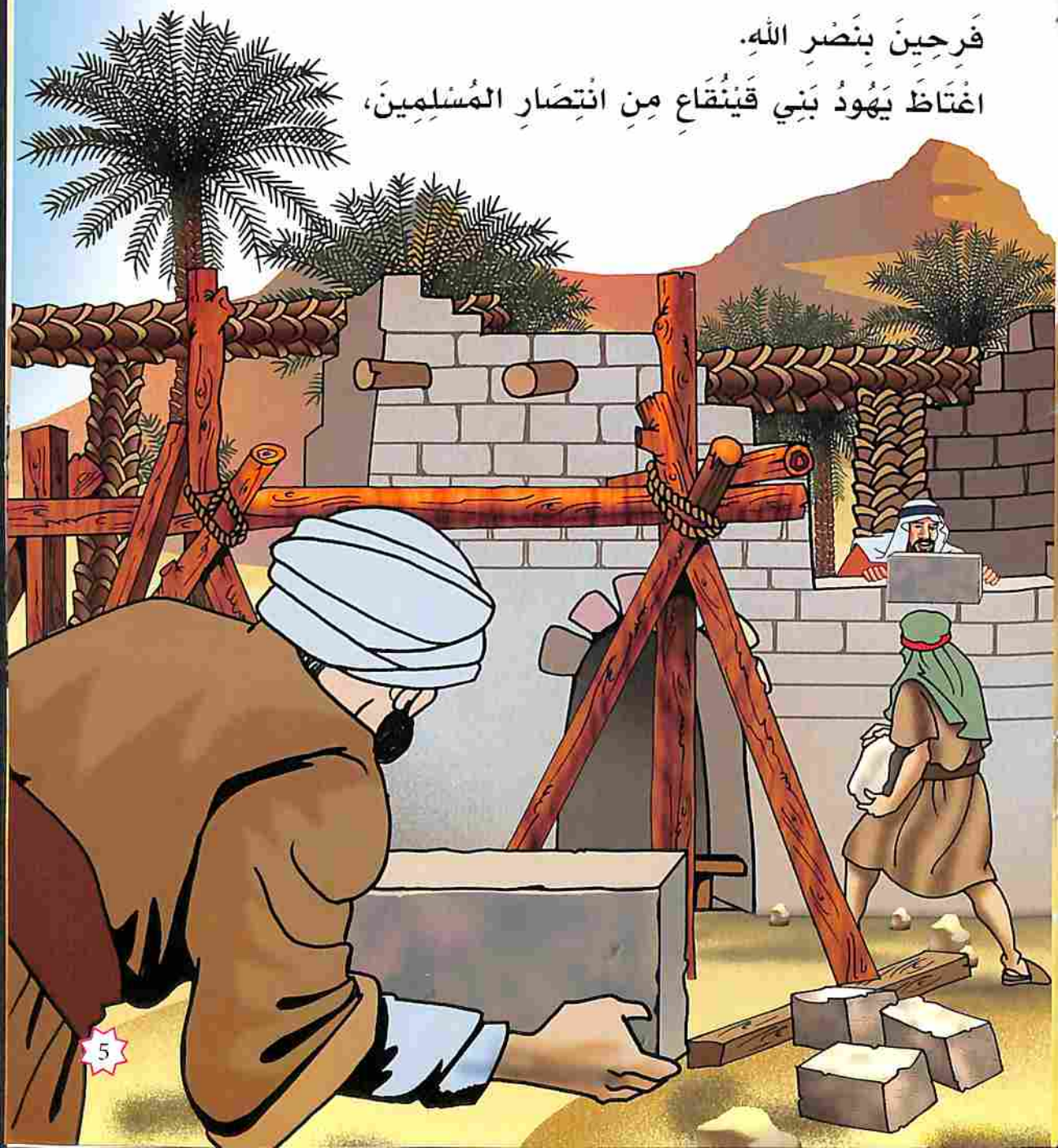

وَحَرَّكَ ذَلِكَ البَغْضَاءَ وَالحِقْدَ فِي نُفُوسِهِم، وَرَأَى الرَّسُولُ (صلى الله عليه وسلم) مِنْهُم الغَدْرَ ، فَدَعَاهُ هَذَا إِلَى إِجْلائِهِم عَنِ المَدِينَةِ، وبَعْدَ مُضِيِّ عَامٍ مِنْ مَعْرَكَةِ بَدْرٍ وَقَعَتْ غَزْوَةُ أُحُدٍ فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ بَعْدَ الهِجْرَةِ.

خَرَجَ ثَلاثَةُ آلافٍ مِن كُفَّارِ مَكَّةَ يُرِيدُونَ المَدِينَةَ المُنَوَّرَةَ، وَعَلِمَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) بِهِم، فَخَرَجَ بِسُبْعُمِائَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَعَسْكَرَ بِهِم بِالقُرْبِ مِنْ جَبَلِ أُحُد، وَقَامَ بِوَضْعِ خُطَّةِ الحَرْبِ، فَجَعَلَ الَّذِينَ يَرْمُونَ بِالنِّبَالِ فَوْقَ الجَبَلِ لِحِمَايَةِ ظَهْرِ المُسْلِمِينَ، وَأَمَرَهُم بِعَدَمِ النُّزُولِ.

وَبَدَأَتِ المَعْرَكَةُ، وَانْهَالَ المُسْلِمُونَ عَلَى المُشْرِكِينَ تَقْتِيلاً، وَبَدَأَ المُشْرِكُونَ يَهْرُبُونَ، فَلَمَّا رَأَى الرُّمَاةُ ذَلِكَ ظَنُّوا أَنَّ المَعْرَكَةَ قَدِ انْتَهَتْ بِانْتِصَارِ المُسْلِمِينَ، فَنَزَلُوا مِنْ أَعْلَى الجَبَلِ، فَلَمَّا رَأَى المُشْرِكُونَ ذَلِكَ اسْتَدَارُوا بِجَيْشِهِم، وَأَخَذُوا يَضْرِبُونَ المُسْلِمِينَ مِنَ الخَلْفِ، وَفُوجِئَ المُسْلِمُونَ بِذَلِكَ، وَانْقَلَبَتِ المَعْرَكَةُ لِصَالِحِ المُشْرِكِينَ، وَوَقَعَ الاضْطِرَابُ فِي صُفُوفِ المُسْلِمِينَ، وقُتِلَ مِنْهُمْ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِب -عَمُّ الرَّسُولِ (صلى الله عليه وسلم) -، وَبَعْدَ ذَلِكَ عَادَ المُسْلِمُونَ إِلَى المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ.

وَفِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ لِلهِجْرَةِ تَمَّ إِجْلاءُ يَهُودِ بَنِي النَّضِير، فَقَدْ

ذَهَبَ الرَّسُولُ (صلى الله عليه وسلم) إِلَيْهِم وَمَعَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ لِغَرَضٍ مَا، فَاسْتَقْبَلُوهُ وَأَظْهَرُوا لَهُ الرِّضَا، وَأَجْلَسُوهُ وَأَصْحَابَهُ تَحْتَ حَائِطٍ، ثُمَّ اتَّفَقُوا عَلَى إِلْقَاءِ حَجَرٍ ثَقِيلٍ عَلَيْهِ دُونَ أَنْ يَشْعُرَ، وَلَكِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيْهِ بِمَا دَبَّرُوهُ مِنْ غَدْرٍ، فَتَرَكَ مَكَانَهُ وَمَعَهُ أَصْحَابُهُ، ثُمَّ قَرَّرَ إِجْلاءَ بَنِي النَّضِير عَنِ المَدِينَةِ المُنوَّرَةِ، وَأَمْهَلَهُم عَشْرَةَ أَيَّامٍ، فَخَرَجُوا، وَلَمْ يَبْقَ بِالمَدِينَةِ إِلَّا يَهُودُ بَنِي قُرَيْظَةَ.

فِي شَهْرِ شَوَّال مِنَ السَّنَةِ الخَامِسَةِ لِلهِجْرَةِ حَرَّضَ بَنُو قُرَيْظَةَ

المُسْلِمِينَ، وَوَعَدُوهُمْ بِالمُسَاعَدَةِ، وَتَمَّ إِحْكَامُ المُؤَامَرَةِ عَلَى المُسْلِمِينَ. وَسَارَ جَيْشُ الكَافِرِينَ نَحْوَ المَدِينَةِ، وَكَانَ عَدَدُهُ عَشْرَةُ آلافٍ (١٠٠٠٠) مُقَاتِلٍ بِقِيَادَةِ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ، وَعَلِمَ الرَّسُولُ (صلى الله عليه وسلم) بِكُلِّ هَذَا؛ فَاسْتَشَارَ أَصْحَابَهُ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ صَحَابِيٌّ اسْمُهُ سَلْمَانُ الفَارِسِيّ بِحَفْرِ خَنْدَقٍ حَوْلَ المَدِينَةِ حَتَّى لا تَسْتَطِيعُ الأَحْزَابُ الكَافِرَةُ دُخُولَهَا.

بَدَأَ المُسْلِمُونَ فِي الحَفْرِ، وَبَعْدَ أَيَّامٍ قَاسِيَةٍ اكْتَمَلَ حَفْرُ الخَنْدَقِ،

وَعِنْدَمَا وَصَلَتِ الأَحْزَابُ بِجُيُوشِهِم إِلَى المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ فُوجِئُوا بِالخَنْدَقِ، وَسَأَلُوا أَنْفُسَهُم: كَيْفَ يَصِلُونَ إِلَى المُسْلِمِينَ وَأَمَامَهُم هَذَا الحَاجِزُ؟! فَحَاصَرُوا المَدِينَةَ، وَفِي ذَلِكَ الوَقْتِ نَقَضَ يَهُودُ بَنُي قُرَيْظَةَ العَهْدَ، وَانْضَمُّوا مَعَ الأَحْزَابِ ، فَاضطَّرَبَ المُسْلِمُونَ اضطِّرَابًا شَدِيدًا، وَلَكِنَّ اللهَ أَرْسَلَ عَلَى الكَافِرِينَ رِيحًا شَدِيدَةً فِي لَيْلَةٍ شَدِيدَةَ البُرُودَةِ وَالظُّلْمَةِ، وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ، فَخَافُوا وَرَحَلُوا عَنِ المَدِينَةِ ... بَعْدَ انْسِحَابِ الأَحْزَابِ تَوَجَّهَ المُسْلِمُونَ بِقِيَادَةِ رَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) إِلَى يَهُودِ بَنِي قُرَيْظَةَ،

وَبَعْدَ حِصَارِهِم حَكَمَ فِيهِم سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ سَيِّدُ الأَوْسِ بِقَتْلِ الرِّجَالِ لِيَتِمَّ تَطْهِيرُ المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ مِنَ اليَهُودِ نِهَائِيًّا.

وَفِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ لِلهِجْرَةِ أَخْبَرَ الرَّسُولُ (صلى الله عليه وسلم)

أَصْحَابَهُ أَنَّهُ يُرِيدُ العُمْرَةَ، فَفَرِحَ المُسْلِمُونَ بِذَلِكَ، وَخَرَجُوا مَعَ الرَّسُولِ (صلى الله عليه وسلم)

قَاصِدِينَ البَيْتَ الحَرَامَ بِمَكَّةَ

المُكَرَّمَةِ، وَكَانَ عَدَدُهُم أَلفًا وَخَمْسُمِائَة (١٥٠٠)، وَنَزَلُوا فِي مَكَانٍ يُسَمَّى «الحُدَيْبِيَّة»، وَعَلِمَتْ بِذَلِكَ قُرَيْشٌ، فَظَنَّتهُم يُرِيدُونَ دُخُولَ مَكَّةَ وَالاسْتِيلاءَ عَلَيْهَا، فَأَخْبَرَهُم الرَّسُولُ (صلى الله عليه وسلم) أَنَّهُم جَاءُوا يُرِيدُونَ العُمْرَةَ، وَاتَّفَقَ مَعَهُم عَلَى عَقْدِ مُعَاهَدَةٍ، جَاءَ فِيهَا:

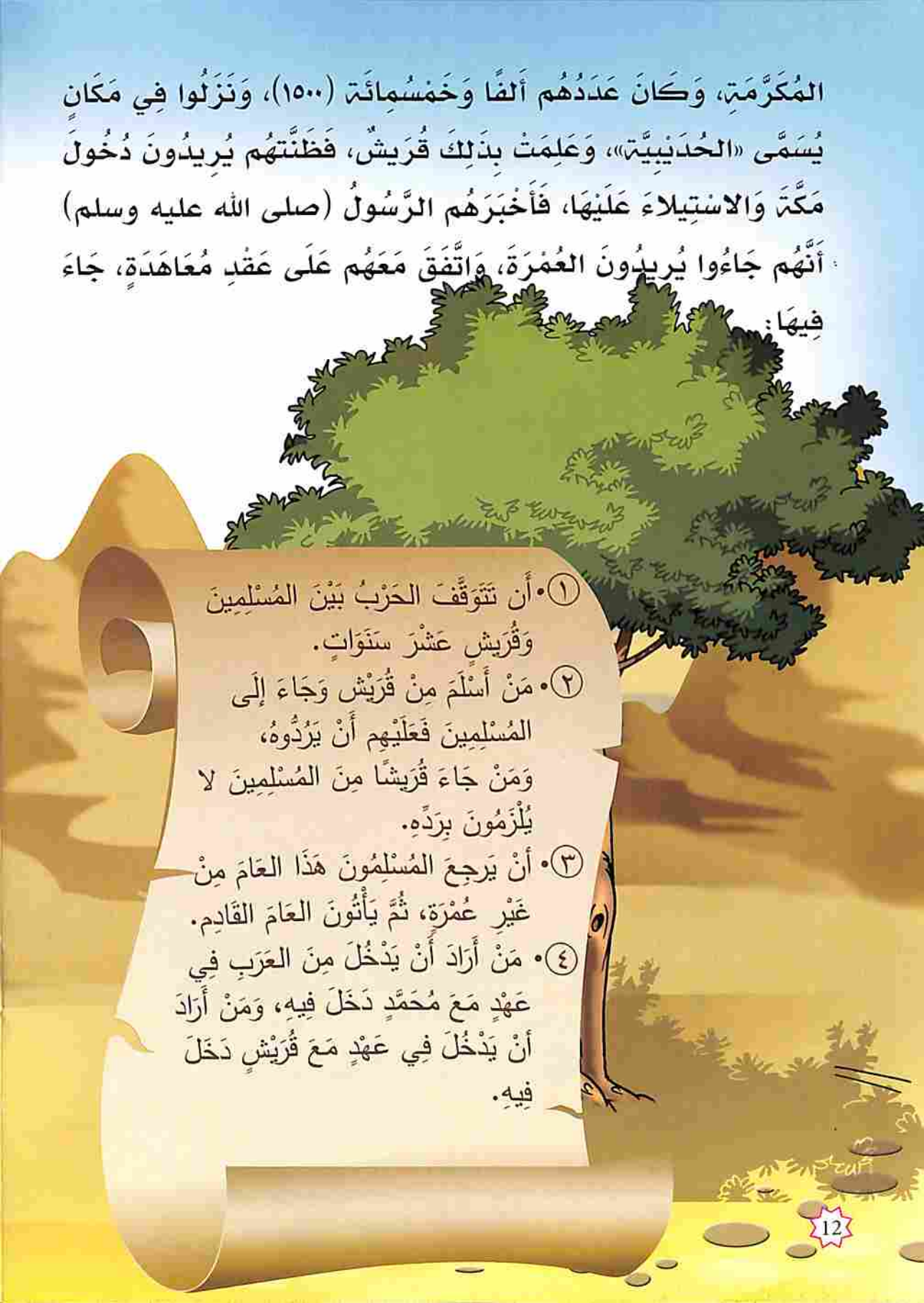

١. أَن تَتَوَقَّفَ الحَرْبُ بَيْنَ المُسْلِمِينَ وَقُرَيْشٍ عَشْرَ سَنَوَاتٍ.

٢. مَنْ أَسْلَمَ مِنْ قُرَيْشٍ وَجَاءَ إِلَى المُسْلِمِينَ فَعَلَيْهِم أَنْ يَرُدُّوهُ، وَمَنْ جَاءَ قُرَيشًا مِنَ المُسْلِمِينَ لا يُلْزَمُونَ بِرَدِّهِ.

٣. أَنْ يَرجِعَ المُسْلِمُونَ هَذَا العَامَ مِنْ غَيْرِ عُمْرَةٍ، ثُمَّ يَأْتُونَ العَامَ القَادِمِ.

٤. مَنْ أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ مِنَ العَرَبِ فِي عَهْدٍ مَعَ مُحَمَّدٍ دَخَلَ فِيهِ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَهْدٍ مَعَ قُرَيْشٍ دَخَلَ فِيهِ.

١. أَن تَتَوَقَّفَ الحَرْبُ بَيْنَ المُسْلِمِينَ وَقُرَيشٍ عَشْرَ سَنَوَاتٍ.

٢. مَنْ أَسْلَمَ مِنْ قُرَيْش وَجَاءَ إِلَى المُسْلِمِينَ فَعَلَيْهِم أَنْ يَرُدُّوهُ، وَمَنْ جَاءَ قُرَيشًا مِنَ المُسْلِمِينَ لا يُلْزَمُونَ بِرَدِّهِ.

٣. أَنْ يَرجِعَ المُسْلِمُونَ هَذَا العَامَ مِنْ غَيْرِ عُمْرَةٍ، ثُمَّ يَأْتُونَ العَامَ القَادِمِ.

٤ . مَنْ أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ مِنَ العَرَبِ فِي عَهْدٍ مَعَ مُحَمَّدٍ دَخَلَ فِيهِ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَهْدٍ مَعَ قُرَيْشٍ دَخَلَ فِيهِ.

وَفَعَلَ الرَّسُولُ (صلى الله عليه وسلم) ذَلِكَ لِيَتَفَرَّغَ لإِرْسَالِ الخِطَابَاتِ إِلَى المُلُوكِ وَالزُّعَمَاءِ، حَتَّى يَنْتَشِرَ الإِسْلامُ فِي كُلِّ مَكَانٍ. وَتَفَرَّغَ لِحَرْبِ اليَهُودِ الَّذِينَ كَانُوا فِي خَيْبَرَ، وَكَانُوا قَدْ أَعَدُّوا العُدَّةَ لِحَرْبِ المُسْلِمِينَ، فَقَرَّرَ الرَّسُولُ (صلى الله عليه وسلم) التَّوَجُّهَ إِلَيْهِم، وَعِنْدَمَا عَلِمُوا بِذَلِكَ دَخَلُوا حُصُونَهُم، وَلَكِنَّ المُسْلِمِينَ حَاصَرُوهُم وَقَاتَلُوهُم قِتَالاً شَدِيدًا، وَفَتَحُوا الحُصُونَ حِصْنًا حِصْنًا.

وَفِي شَهْرِ رَمَضَانَ فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ لِلهِجْرَةِ تَمَّ فَتْحُ مَكَّةَ، فَقَدْ سَارَ الرَّسُولُ (صلى الله عليه وسلم) بِجَيْشٍ عَدَدُهُ عَشَرَةُ آلافٍ (١٠٠٠٠) نَحْوَ مَكَّةَ دُونَ أَنْ يَعْلَمُوا بِذَلِكَ، حَتَّى لا يَحْدُثَ قِتَالٌ، وَمَرَّت أَيَّامٌ، بَعْدَهَا فُوجِئَ أَهْلُ مَكَّةَ بِاقْتِرَابِ جَيْشِ المُسْلِمِينَ مِنْهُم، وَسَارَ الرَّسُولُ (صلى الله عليه وسلم) بِجَيْشِهِ حَتَّى دَخَلَ مَكَّةَ وَفَتَحَهَا دُونَ أَنْ تُرَاقَ نُقْطَةُ دَمٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ جَمَعَ أَهْلَ مَكَّةَ

وَقَالَ لَهُم: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، مَاذَا تَظُنُّونَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُم؟ أَجَابُوا: خَيْرًا، أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ. فَقَالَ الرَّسُولُ (صلى الله عليه وسلم) : اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ.

وَفِي السَّنَةُ العَاشِرَةُ لِلهِجْرَةِ، وَفِيهَا ذَهَبَ الرَّسُولُ (صلى الله عليه وسلم) لأَدَاءِ فَرِيضَةَ الحَجِّ، وَفِيهَا خَطَبَ خُطْبَةَ الوَدَاعِ الَّتِي بَيَّنَ فِيهَا كَثِيرًا مِنَ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ.

وَعَادَ الرَّسُولُ (صلى الله عليه وسلم) إِلَى المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ، وَبَدَأَتْ تَتَوَالَى عَلَيْهِ وُفُودُ العَرَبِ لِمُبَايَعَتِهِ عَلَى الإِسْلامِ، وَدَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا.

وَفِي أوَّلِ السَّنَةِ الحَادِيَةِ عَشرَةَ لِلهِجْرَةِ مَرِضَ الرَّسُولُ (صلى الله عليه وسلم) بِالحُمَّى، ثُمَّ اشْتَدَّ عَلَيْهِ المَرَضُ، وَفِي صَبَاحِ يَوْمِ الإثْنَيْنِ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الأَوَّلِ انْتَقَلَ الرَّسُولُ (صلى الله عليه وسلم) إِلَى جِوَارِ رَبِّهِ عَنْ ثَلاثَةٍ وَسِتِّينَ عَامًا.

كَانَ أَبُو بَكْرٍ غَائِبًا، وَعِنْدَمَا عَلِمَ بِوَفَاةِ الرَّسُولِ (صلى الله عليه وسلم) جَاءَ وَقَالَ لِلنَّاسِ: أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لا يَمُوتُ.

عن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم):

«لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ: أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللهُ بِي الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يَحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ» متفقٌ عليه.

المركز العربي الحديث
103شارع الامام على ميدان الاسماعيلية - مصر الجديدة القاهرة - تليفاكس : 26377603
مكتبة قطان
سوريا - حلب - هاتف: 3211096
E-mail:kattan.egypt@hotmail.com